



د.أحمد موفق زيدان

الخطر الأحمر الذي حشد له العالم العربي كله، علماء وحكومات، إعلاماً وساسة، عسكريين واجتماعيين، فالكل كان يتحدث عن الخطر الأحمر المُحْدِق بالخليج، وبالعرب عامة، يومها لم يُعلن هذا الخطر الأحمر وهو في عزّ قوته وصولجانه أنه يهدد العالم العربي ونفطه وشعبه وحرمه، ولم يُوسع دائرة اشتباكاته أبعد من أفغانستان، بينما الخطر الصوفي اليوم الذي لا يُقارن بجبروت السوفيات آنئذ يُوسع معركته العدمية على امتداد رقعة العالم الإسلامي فقط، ساعياً إلى فك اشتباك وهمي خداعي تضليلي مع الغرب وإسرائيل، أراده في وقت من الأوقات من أجل شحن بطارية تضليله للأمة، فضحك على الكثير منا، وما قتله من الصهاينة في مسرحيات كنت أعتقد بها منذ اللحظة الأولى لم يتعد العشرات، وعوّضه لاحقاً بأكثر من مليون ونصف المليون عراقي وسوري ويمني، مع تدمير بلاد كانت حواضر لحضارات عالمية، والقادم قد يكون أدهى وأمرّ. الخطر الصوفي لم يعد عسكرياً ولم يعد محدوداً جغرافياً فهو في سوريا يستغل الطائفة العلوية، وفي العراق وباکستان وأفغانستان والخليج الطائفة الشيعية، وفي اليمن الحوثيين، ومن لم يحن من البلدان وقت تخربيه وتدميره يتم استغلاله كبقرة حلوب، فيُحَلِّب خزانه البشري الطائفي ويُشَحِّن إلى مناطق أخرى ليشارك بمجهوده التخريبي والتدميري، وبمشاركته هذه يثبت ولاءه لقم وطهران، ويقطع صلاته مع دولته الوطنية التي أثبتت أنه لا يربطه بها إلا ورقة جنسية لا علاقة لها بولاء أو محبة، فطهران بالنسبة له هي ك «تل أبيب» لليهود.

هل طهران جريندايزر حتى تُعلن كل هذه المرامي والأهداف عليناً دون مواربة وهي التي يقوم دينها على التقىة والسرداب والتخفي والتواري وعدم إظهار الحقائق، أم إن العالم الغربي كله يدعمها وبقوة من أجل تفكيك المفک وتدمير المدمر، فتعاونهما وتنسيقهما في أفغانستان وال العراق خلال السنوات الماضية لم يكن كافياً للعالم العربي وتركياً كي يقرع ناقوس الخطر، فظل حسن الظن الأبله هو السائد، وظللت سياسة إبقاء الأوساخ تحت السجاد هي السلوك كونها أسهل من تبعات الاعتراف المُكْلَف بالحقائق المرة، فعالمنا استمراً ترحيل المشاكل وليدفع غيره الثمن ما دام لا حسيب ولا رقيب على فعله هذا.

بالعودة إلى التجربة الأفغانية التي عشتها ساعه بساعه على امتداد سنوات طويلة، فإن العالم العربي والخليجي تحديداً فتح كل أبوابه ونواذه من أجل إبعاد الخطر الشيعي بينما الخطر الصوفي اليوم داهمٌ ليس على الحدود كما كان بالأمس في أفغانستان وإنما وصل إلى عظم تلك الدول، والطابور الخامس لم يعد خامساً فقد أعلن عن نفسه أنه طابور أول وانغماسيون واقتحاميون كما ظهر أخيراً في الكويت وغيرها، وتلعب المليشيات الطائفية في لبنان والعراق وأفغانستان وباکستان طليعة

التخريب الطائفي الصوفي في الشام، ومع كل هذا فإن العرب لا يزالون يتعاملون مع الشام بأقل من مئة درجة أو أكثر ربما مما تعاملوا به مع القضية الأفغانية.

فتحت الدول العربية الأبواب لدخول علماء الإسلام وقاده الحركات الإسلامية للتعریف بالجهاد الأفغاني والدعوة إليه، وبرز دعمها ومساندتها في كل المناحي عسكرياً وسياسياً وإعلامياً ودعوياً، ووصل الأمر إلى حسومات على تذاكر السفر لتصل قيمة التذكرة إلى ربها لمن يريد الوصول إلى أرض الجهاد، فضلاً عن حشد إعلامي عربي غير مسبوق لقضية غير عربية، بينما نرى اليوم كل أنواع التشكيك بالجهاد الشامي على صفحات بعض الإعلام العربي الرسمي الذي كان يُمجد بالأمس الجهاد الأفغاني، بل كان من المحرمات تماماً أن تجد من يشكك بالجهاد والمجاهدين، وإن وجد فهو الشاذ.

تولت الحكومات العربية مسؤولية الجهاد الأفغاني مالياً على الرغم من سماحتها بالtributes الفردية ولكن الحرب الضروس التي جرت في أفغانستان وتجري على أرض الشام اليوم بأضعاف مضاعفة لا تقوى جهود أفراد على تمويله، وبالتالي لا بد من ضخ أموال رهيبة من أجل إبقاء المعركة إن لم يكن من أجل الشام فلتكن من أجل ألا تصل النار إلى قوائم كراسى الحكم في العالم العربي وما بعده، وتأتي بعض الحكومات لتلاحق بعض أهل الخير الذين يجمعون فتات أموال الأمة لدعم الجهاد الشامي، بينما أموال الخمس الشيعي الذاهب إلى قم والضاحية الجنوبية والقرداحة لا حسيب ولا رقيب عليها.

أمن الشعب الأفغاني على نفسه في ديار الهجرة وقد وصل بهم الأمر إلى أنهم رفضوا حتى العودة إلى أفغانستان بعد سقوط النظام الشيوعي بسبب الحفاوة التي لقوها في باكستان وبدعم المنظمات الإغاثية الخليجية، بينما أهل الشام تقطيع بهم السبل على حدود اليونان ومقدونيا وأوروبا وكل بقاع الأرض، فمن لم يُقتل بالكيماوي تلقته البراميل المتفجرة ومن نجا من الأخيرة وفر بجلده إلى الحدود افترسه بحر أو محيط، ومن تمكن من الوصول إلى الغرب أرسل الرسائل ينصح من وراءه ألا يقدموا على فعله فدينه وأولاده وقيمه في خطر.

أخيراً وهو الأهم وزيادة الحديث كله فرضت باكستان وبدعم عربي الاعتراف بسبعة أحزاب أفغانية وأرغمت العالم كله على التعامل معها فكانت تمثل العمل العسكري والسياسي والإعلامي و... و... و...، وهو ما أرغم العالم على التعامل معها من خلال البوابة الباكستانية المدركة لقوة كل حزب على الأرض وحجمه وزنه، وهو ما وفر الكثير على الشعب الأفغاني، بينما نرى اليوم عكس ذلك، فمن يلوم المعارضة السورية عسكرية أو سياسية على عدم وحدتها عليه أن يعلم أنه لو لا الضغط الخارجي لما كان هناك منظمة تحرير فلسطينية ممثلاً وحيداً في فترة من الفترات الفلسطينية، ولا كان هناك المجلس الوطني الليبي، ولا كان هناك أحزابًّا أفغانية سبعة فقط، وبالتالي من يتحمل المسؤلية هو الخارج أيضاً الساعي إلى تمزيق الممزق بالشام، وإن كنت ممن يؤمنون بنظرية «قل هو من عند أنفسكم» ولكن هذا لا يمنع من توزيع المسؤلية.